الاستبداد ووسائله في القرآن الكريم

أ. مناهل بنت عبد الله بن عبد العزيز الزامل*

سلم البحث في ١٤٣٨/٥/٣هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٨/٦/٥هـ

ملخص البحث:

يتناول البحث موضوع الاستبداد في القرآن الكريم، حيث بينت الباحثة في المبحث الأول معنى الاستبداد في اللغة والاصطلاح وفي اصطلاح السّياسيين، ثم عرضة للآيات الكريمات التي تتناول هذا الموضوع وتعزز من خلالها أن الاستبداد يعني التفرد بالسلطة والقوة والاستئثار بها، وتسخير الناس وإيصالهم لدرجة العبودية السياسية، ومصادرة الحقوق والحريات المشروعة، ثم بينت الباحثة أشكال الاستبداد من خلال المبحث الثاني وعرض للوسائل الاستبدادية المتمثلة بالوسائل الإغوائية، والإعلامية والقهرية.

Abstract:

This paper deals with the subject of tyranny in the Qur'an, where the researcher showed in the first part, the meaning of tyranny in the language and terminology in political convention, and then exposed to the verses creams that address this issue and promote through which that tyranny means autocracy, power and exclusivity, and harness people and get them to the point of political slavery, and the confiscation of the rights and legitimate freedoms, then the researcher showed forms of tyranny through the second section and display means of authoritarian means helpings, and media and coercive..

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد، فإن الاستبداد سلوك وصفة، لها جوانب ومظاهر، ونظرا لأهمية بيان ذلك، كان هذا البحث الذي يجلي جوانبه المختلفة في هذه الإطلالة العجلى، من خلال دراسة المسائل المتعلقة به في ضوء القرآن الكريم.

خطة البحث:

يتم تناول مسائل هذا البحث من خلال مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: حقيقة الاستبداد وآياته الواردة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: حقيقة الاستبداد.

---

* طالبة بمرحلة الدكتوارة في كلية دار العلوم، بجامعة الفيوم، بمصر.

المطلب الثاني: الاستبداد في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: شكل الاستبداد ووسائله.

المطلب الأول: شكل الاستبداد.

المطلب الثاني: وسائل الاستبداد.

الخاتمة: في أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
حقيقة الاستبداد وآياته الواردة في القرآن الكريم
المطلب الأول: حقيقة الاستبداد

هو اسم لفعل (استبدّ) يقوم به فاعل (مستبد)ليتحكم في موضوعه (المستبد)، فلا بد أن يتجسد الاستبداد في شخص أو فئة، يقال: استبد به: انفر دبه، واستبدّ: ذهب. واستبد الأمر بفلان: غلبه فلم يقدر على ضبطه، واستبد بأميره: غلب على رأيه، فهو لا يسمع إلا منه[١]، قال ابن منظور: استبد بالأمر يستبد به استبدادا إذا انفرد به دون غيره. واستبد برأيه: انفرد به.[٢]

ويتضح مما سبق أن الاستبداد يراد الانفراد –بالحكم– والغرور بالرأي وعدم تقبل النصيحة، قال الكواكبي: غرور المرء برأيه، والأنفة عن قبول النّصيحة، أو الاستقلال في الرّأي وفي الحقوق المشتركة.[٣]

ويُراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصّةً؛ لأنّها أعظم مظاهر أضراره التي جعلتْ الإنسان أشقى ذوي الحياة. وأما تحكّم النّفس على العقل، وتحكُّم الأب والأستاذ والزّوج، ورؤساء بعض الأديان، وبعض الشركات، وبعض الطّبقات؛ فيوصف بالاستبداد مجازاً أو مع الإضافة.[٤]

وفي الاصطلاح السياسي: حكم أو نظام يستقل بالسلطة فيه فرد أو مجموعة من الإفراد دون خضوع لقانون أو قاعدة ودون النظر إلى رأي المحكومين[٥]، قال الكواكبي: الاستبداد في اصطلاح السّياسيين هو تَصَرُّف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة، وقد تَطرُق مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحي فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات: استعباد، واعتساف، وتسلُّط، وتحكُّم. وفي مقابلتها كلمات: مساواة، وحسّ مشترك، وتكافؤ، وسلطة عامة. ويستعملون في مقام صفة (مستبدّ) كلمات: جبّار، وطاغية، وحاكم بأمره، وحاكم مطلق. وفي مقابلة

(حكومة مستبدّة) كلمات: عادلة، ومسئولة، ومقيّدة، ودستورية. ويستعملون في مقام وصف الرّعية (المستَبَدّ عليهم) كلمات: أسرى، ومستصغرين، وبؤساء، ومستنبتين، وفي مقابلتها: أحرار،وأباة، وأحياء، وأعزّاء.(٦)

هذا تعريف الاستبداد بأسلوب ذكر المرادفات والمقابلات، وأمّا تعريفه بالوصف فهو: أنّ الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً، التي تتصرّف في شؤون الرّعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محقَّقين(٧)، والاستبداد داءٌ أشدُّ وطأةً من الوباء، أكثر هولاً من الحريق، أعظم تخريباً من السّيل، أذلُّ للنفوس من السؤال. داءٌ إذا نزل بقومٍ سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادي القضاء القضاء، والأرض تناجي ربّها بكشف البلاء. الاستبداد عهدٌ؛ أشقى الناس فيه العقلاء والأغنياء، وأسعدهم بمحياه الجهلاء والفقراء، بل أسعدهم أولئك الذين يتعجّلون الموت فيحسدهم الأحياء.(٨)

المطلب الثاني
الاستبداد في القرآن الكريم

لم يأت ذكرها في القرآن الكريم وقد عبر عنها في الكثير من الآيات بالطغيان والظلم والعلو وأفرد لبعضها على النحو التالي:

١- قال تعالى: ﴿اذهب إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى﴾ (٩).

الطغيان مجاوزة الحد، ثم إنه تعالى لم يبين أنه تعدى في أي شيء، فلهذا قال بعض المفسرين: معناه أنه تكبر على الله وكفر به، وقال آخرون: إنه طغى على بني إسرائيل، والأولى عندي الجمع بين الأمرين، فالمعنى أنه طغى على الخالق بأن كفر به، وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم، وكما أن كمال العبودية ليس إلا صدق المعاملة مع الخالق ومع الخلق، فكذا كمال الطغيان ليس إلا الجمع بين سوء المعاملة مع الخالق ومع الخلق(١٠)، قال الطنطاوي: أي: اذهب يا موسى ومعك هاتان المعجزتان، فادعه إلى عبادتي وحدي، ومره فليحسن إلى بنى إسرائيل ولا يعذبهم، وانهه عن التجبر والظلم، فإنه قد طغى وبغى وتجاوز حدود الحق والعدل، وزعم للناس أنه ربهم الأعلى. (١١)

فالطغيان أمر لا ينبغي أن يكون ولا أن يبقى. أنه أمر كريه، مفسد للأرض، مخالف لما يحبه الله، مؤد إلى ما يكره.. فمن أجل منعه ينتدب الله عبدا

من عباده المختارين. ينتدبه بنفسه سبحانه. ليحاول وقف هذا الشر، ومنع هذا الفساد، ووقف هذا الطغيان.. إنه أمر كريه شديد الكراهية حتى ليخاطب الله بذاته عبدا من عباده ليذهب إلى الطاغية، فيحاول رده عما هو فيه. (١٢)

٢- قال تعالى: ﴿بل هم قوم طاغون﴾(١٣): أي لم يتواصوا به، لأنهم لم يكونوا في زمان واحد، بل جمعتهم علة واحدة، وهي كونهم طغاة، فهم مستعلون في الأرض، مفسدون فيها عاتون.(١٤)

قال الطنطاوي: إضراب عن تواصيهم إضراب إبطال، لأنهم لم يجمعهم زمان واحد حتى يوصى بعضهم بعضا، وإنما الذي جمعهم تشابه القلوب، والالتقاء على الكفر والفسوق والعصيان(١٥)، وفيه إشارة إلى أن أرباب النفوس المتمردة من الأولين والآخرين مركوزة في جبلتهم طبيعة الشيطنة من التمرد والآباء والاستكبار فما أتاهم رسول من الأنبياء في الظاهر أو من الإلهامات الربانية في الباطن إلا أنكروا عليه وقالوا ساحر يريد أن يسحرنا أو مجنون لا عبرة بقوله كأن بعضهم أوصى بعضهم بالتمرد والإنكار والجحود لأنهم خلقوا على طبيعة واحدة بل هم قوم طاغون بأنهم وجدوا أسباب الطغيان من السعة والتنعم والبطر والغنى. (١٦)

٣- قال تعالى: ﴿الذين طغوا في البلاد﴾(١٧)

طغوا في البلاد أي عملوا المعاصي وتجبروا على أنبياء الله والمؤمنين ثم فسر طغيانهم بقوله تعالى: فأكثروا فيها الفساد ضد الصلاح فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر، فالفساد يتناول جميع أقسام الإثم، فمن عمل بغير أمر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد(١٨)، وليس وراء الطغيان إلا الفساد. فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء. كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل جوانب الحياة. ويحول الحياة عن خطها السليم النظيف، المعمر الباني، إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال، إنه يجعل الطاغية أسير هواه، لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت، ولا يقف عند حد ظاهر، فيفسد هو أول من يفسد ويتخذ له مكانا في الأرض غير مكان العبد المستخلف وكذلك قال فرعون.. ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ عند ما أفسده طغيانه، فتجاوز به مكان العبد المخلوق، وتطاول به إلى هذا الادعاء المقبوح، وهو فساد أي فساد، ثم هو يجعل الجماهير أرقاء أذلاء، مع السخط الدفين والحقد الكظيم، فتتعطل فيهم مشاعر الكرامة الإنسانية، وملكات

الابتكار المتحررة التي لا تنمو في غير جو الحرية. والنفس التي تستذل تأسن وتتعفن، وتصبح مرتعا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة، وميدانا للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك. وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع، وهو فساد أي فساد، ثم هو يحطم الموازين والقيم والتصورات المستقيمة، لأنها خطر على الطغاة والطغيان. فلا بد من تزييف للقيم، وتزوير في الموازين، وتحريف للتصورات كي تقبل صورة البغي البشعة، وتراها مقبولة مستساغة. (١٩)

٤- قال تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾.(٢٠)

المعنى إنما سبيل الحكم والإثم على الذين يظلمون الناس، أي الذين يضعون الأشياء غير مواضعها من القتل وأخذ المال والأذى باليد وباللسان. والبغي بغير الحق وهو نوع من أنواع الظلم، خصه بالذكر تنبيها على شدته وسوء حال صاحبه، ثم توعدهم تعالى بالعذاب الأليم في الآخرة(٢١)، فالذين يجب الوقوف في طريقهم هم الذين يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق. فإن الأرض لا تصلح وفيها ظالم لا يقف له الناس ليكفوه ويمنعوه من ظلمه وفيها باغ يجور ولا يجد من يقاومه ويقتص منه. والله يتوعد الظالم الباغي بالعذاب الأليم. ولكن على الناس كذلك أن يقفوا له ويأخذوا عليه الطريق. (٢٢)

٥- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.(٢٣)

أي أفرط في تعديه ومجاوزته حد الشريعة والحق، إلى ارتكاب العصيان والفساد والضلال(٢٤)، قال الخلوتي: فأما من طغى أي تعدى طور الفطرة الإنسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة إلى الرتبة البهيمية أو السبعية وأفرط في تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية فان الجحيم مرجعه ومأواه وأما(٢٥)

٦- وقوله تعالى: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾(٢٦).

أي طغوا وتجبروا، وأكثروا في الأرض الفساد(٢٧)، فالاستكبار: التعالي والتطاول على الغير بحمق وجهل. أى: وتعالى فرعون وجنوده في الأرض التي خلقناها لهم، دون أن يكون لهم أي حق في هذا التطاول والتعالي، وظنوا واعتقدوا

أنهم إلينا لا يرجعون، لمحاسبتهم ومعاقبتهم يوم القيامة. (٢٨)

٧- قال تعالى: ﴿قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى﴾.(٢٩)

فرط: سبق وتقدّم. ومنه الفارط: الذي يتقدّم الواردة. وفرس فرط: يسبق الخيل، أى: نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها. وقرئ يَفْرُطَ من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة. خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان، أو من جبروته واستكباره وادّعائه الربوبية. أو من حبه الرياسة، أو من قومه القبط المتمرّدين الذين حكى عنهم ربّ العزّة قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ وقرئ: يفرط، من الإفراط في الأذية، أى: نخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة. أو يجاوز الحدّ في معاقبتنا إن لم يعاجل، بناء على ما عرفا وجرّبا من شرارته وعتوّه أَوْ أَنْ يَطْغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته عليك وقسوة قلبه. وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز: باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوّه بالعظيمة.(٣٠)

٨- قوله تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾.(٣١)

أي إن فرعون ملك مصر تجبر في أرضها واستكبر، وبغى وطغى وقهر أهلها. وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً أي جعل أبناء مصر فرقا وأحزابا مختلفة، وسخر كل طائفة في مصالحه العمرانية والزراعية وغير ذلك من أمور دولته، وبذر بينهم بذور الفتنة والعداوة والبغضاء، حتى لا يتفقوا، أخذا بسياسة المستعمر: «فرّق تسد»(٣٢)، وهو كالقسطاس والقسطاس علا استكبر وتجبر وتعظم وبغى، والمراد به قوة الملك والعلو في الأرض يعني أرض مملكته، ثم فصل الله تعالى بعض ذلك بقوله: وجعل أهلها شيعا أي فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم مخالفته أو يشيع بعضهم بعضا في استخدامه أو أصنافا في استخدامه أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة ليكونوا له أطوع أو المراد ما فسره بقوله: يستضعف طائفة منهم أي يستخدمهم ويذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فهذا هو المراد بالشيع(٣٣)

٩- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأرض وَإِنَّهُ لَمِنَ المسرفين﴾(٣٤)

أي لغالب فيها قاهر ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ المسرفين﴾ في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية(٣٥)، قال الطبري في بيان ذلك: وإن فرعون لجبّارٌ مستكبر على الله في أرضه ﴿وإنه لمن المسرفين﴾، وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل،

وذلك كفره بالله وتركه الإيمان به، وجحودُه وحدانية الله، وادّعاؤه لنفسه الألوهيـــة، وسفكه الدماء بغير حلِّها[٣٦]

١٠- قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣٧].

يقول: إنه كان ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يـــستحقّ منـــه القتـــل، واستعباده من ليس له استعباده، وتجبره في الأرض على أهلها، وتكبره على عبادة ربه[٣٨]، وفرعون كان من الراسخين في الفساد والإفساد، ولذلك فعل ما فعل مـــن ظلم لغيره، ومن تطاول جعله يقول للناس: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.[٣٩]

وبعد هذا العرض لبعض الآيات التي عبرت عن الاستبداد بمسميات آخري يمكن تسجيل التالي:

١- الاستبداد يعني التفرد بالسلطة والقوة والاستئثار بها.

٢- تسخير الناس بشتى الطرق وإيصالهم لدرجة العبودية السياسية.

٣- المستبدون يفرضون أرائهم وأهوائهم على رعيتهم ويجعلونها علـــيهم قـــوانين إلزامية ويجبرونهم على قبولها والانقياد لها قصرا. ويـــصادرون حريـــاتهم فـــي الاختيار والقبول والرفض.

٤- في الاستبداد مصادرة للحقوق والحريات المشروعة التي تكفلها الدستور.

٥- الكيان المستبد لا يتورع عن الظلم والتكبر والتجبر والقهر والطغيان، واحتقار الناس واستضعافهم،وبث التفرقة العنصرية والتمايز،ففرعون كان يـــرى ويـــرى الأقباط معه أن مصر هي ملك لهم، وما وجود بني إسرائيل إلا لخدمتهم في هـــذه الحياة، فجعل من مملكته فرقاً مختلفة، وجعل منهم شيعاً مقربين منه، والقسم الآخر ناصبهم العداء، وجعل بين الطائفتين العداوة والبغضاء ليسهل له الـــسيطرة علـــيهم جميعاً.

المبحث الثاني
شكل الاستبداد ووسائله
المطلب الأول: شكل الاستبداد

وأشكال الحكومة المستبدّة كثيرة، ويكفي هنا الإشارة إلى أنّ صفة الاستبداد، كما تشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولّى الحكم بالغلبة أو الوراثة، تـــشمل أيضاً الحاكم الفرد المقيَّد المنتخب متى كان غير مسئول، وتشمل حكومة الجمع ولو منتخباً؛ لأنَّ الاشتراك في الرّأي لا يدفع الاستبداد، وإنَّما قد يعدّله الاختلاف نوعاً،

وقد يكون عند الاتّفاق أضرّ من استبداد الفرد. ويشمل أيضاً الحكومة الدّستورية المُفرّقة فيها بالكُلِّيَّة قوَّة التشريع عن قوَّة التَّنفيذ وعن قوَّة المراقبة؛ لأنَّ الاستبداد لا يرتفع ما لم يكن هناك ارتباط في المسؤولية، فيكون المُنَفِّذُون مسئولين لدى المُشَرِّعين، وهؤلاء مسئولين لدى الأمَّة، تلك الأمَّة التي تعرف أنَّها صاحبة الشّأن كلّه، وتعرف أنْ تراقب وأنْ تتقاضى الحساب.المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية. ولنا أنْ نقول كلّما قلَّ وَصْفٌ منْ هذه الأوصاف؛ خفَّ الاستبداد إلى أنْ ينتهي بالحاكم المنتخب المؤقت المسئول فعلاً. وكذلك يخفُّ الاستبداد –طبعاً– كلّما قلَّ عدد نفوس الرَّعية، وقلَّ الارتباط بالأملاك الثّابتة، وقلَّ التّفاوت في الثّروة وكلّما ترقَّى الشّعب في المعارف.(٤٠)

المطلب الثاني
وسائل الاستبداد:

أولاً: وسائله الاغوائية: وأقصد بها مجموع الامتيازات والإغراءات التي يحاول الكيان المستبد أن يقدمها للبعض من أجل تمكينه من الاستبداد وعدم معارضته ومسائلته وبنظرات في القرآن الكريم نجد أنه عرض لهذا الأسلوب،وأفرد له كالتالي:

١– الامتيازات المالية والإدارية: وهذا من الأساليب القديمة الحديثة حيث تعمد الحكومات المستبدة بالإسراف من الموازنات العامة لمفاصل الكيان الاستبدادي من أجل ضمان الولاء والطاعة العمياء من قبل هؤلاء فيغدق عليهم بالأموال والمناصب الإدارية وغير ذلك،وفي ذلك يقول الشيخ محمد الغزالي: فمن خصائص حكم الطغاة السرف الشديد على شخص الفرد الحاكم وعلى كل من يمت إليه بنسب أو يواليه بنصر،فترى شهوات الغي ومضلات الهوى على المشاعر والنهي وعبء هذه النزوات يقع على عاتق الخزانة العامة وحدها فإن الطاغية_المستبد_لا يبالي من أين يأخذ المال ولا أين يضعه(٤١)، قال تعالى: ﴿وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ قالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(٤٢)، أي: وأقبل السحرة سريعا على فرعون بعد أن أرسل إليهم فقالوا له بلغة المحترف الذي مقصده الأول مما يعمله الأجر والعطاء: إن لنا لأجرا عظيما إن كانت لنا الغلبة على هذا الساحر العليم؟ فهم يستوثقون أولا من جزالة الأجر وضخامته. وهنا يجيبهم فرعون بقوله:

نعم لكم أجر مادي جزيل إذا انتصرتم عليه، وفضلا عن ذلك فأنتم تكونون بهذا الانتصار من الظافرين بقربى وجواري. فهو يغريهم بالأجر المادي ويعدهم بالقرب المعنوي من قلبه تشجيعا لهم على الإجادة. (٤٣)

قال محمد رشيد رضا: فلما جاءوا قالوا لفرعون إن لنا لأجرا عظيما يكافئ ما يطلب منا من العمل العظيم إن كنا نحن الغالبين لموسى، ذكر قولهم هنا بأسلوب الاستئناف البياني كأنه جواب سائل ماذا قالوا؟ وجاء في سورة الشعراء بصيغة الشرط والجزاء: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(٤٤)... قال نعم وإنكم لمن المقربين أي: قال فرعون مجيبا لهم إلى ما طلبوا: نعم؛ إن لكم لأجرا عظيما وإنكم مع ذلك الأجر المالي والمادي لمن المقربين من جانبنا السامي، فيجتمع لكم المال والجاه، وذلك منتهى الدنيا ومجدها، أكد لهم نيل ما طلبوه منه، وما زادهم عليه تأكيدا بعد تأكيد؛ لاهتمامه بهذا الأمر، وخوفهم من عاقبته، فإنه لو قال لهم: نعم، ولم يزد عليها؛ لأفاد إجابة طلبهم، ولو قال في منحة القربى: وتكونون من المقربين، لكفى، ولكنه عبر عنها بالجملة الاسمية المؤكدة بـ(إن) وبتحلية الخبر باللام، وبعطف التلقين؛ أي عطف: "وإنكم لمن المقربين" على الجملة المقدرة التي دل عليها حرف الإيجاب "نعم" وهي "إن لكم لأجرا" الحالة وهي كونكم أنتم الغالبين دون موسى لمن المقربين. (٤٥)

فلما كانت هذه المهمة صعبة طلبوا عليها أجراً، فهي معركة تتوقف عليها مكانته بين قومه، أما ممارستهم للسحر إرهاباً للناس وتخويفاً لمن تُسوِّل له نفسه الخروج والتمرد على فرعون، فكان سُخْرة، لا يتقاضَوْن عليه أجراً. لذلك لم يعارض فرعون سحرته في طلبهم، بل زادهم منحة أخرى {وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المقربين} فسوف تكونون سدنة الفرعونية، يريد أنْ يشحن همَمهم، ويشحذَ عزائمهم، حتى لا يدخروا وُسْعاً في فَنِّ السحر في هذه المعركة.(٤٦)

إنهم محترفون... يحترفون السحر كما يحترفون الكهانة! والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك! وخدمة السلطان الباطل والطاغوت الغالب هي وظيفة المحترفين من رجال الدين! وكلما انحرفت الأوضاع عن إخلاص العبودية لله، وإفراده- سبحانه- بالحاكمية وقام سلطان الطاغوت مقام شريعة الله، احتاج

الطاغوت إلى هؤلاء المحترفين، وكافأهم على الاحتراف، وتبادل وإياهم الصفقة: هم يقرون سلطانه باسم الدين! وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين! ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم، ووعدهم مع الأجر القربى منه، زيادة في الإغراء، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد.(٤٧)

قال الشعراوي: وهذه تدل على فساد الحكم؛ لأنه مادام حاكماً فعليه أن يكون كل المحكومين بالنسبة إليه سواء. لكن إذا ما كان هناك مقربون فالدائرة الأولى منهم تنهب على قدر قربها، والدائرة الثانية تنهب أيضاً، وكذلك الثالثة والرابعة فتجد كل الدوائر تمارس فسادها مادام الناس مصنفين عند الحاكم.(٤٨)

٢- الاستعانة بالنفعيين والانتهازيين: فهذه الشريحة فاقدة للأخلاق، وهم مستعدون في سبيل الوصول إلى مصالحهم أن ينفذوا كل ما يطلب منهم من الكيان المستبد. والحاكم المستبد يبارك هذه الطبيعة الدنسة ويغدق عليها ولو راجعنا الصحائف السود لتاريخ الطغيان -الاستبداد- في الأرض لوجدنا مراءاة الحكام وقد وطأت أكتاف المنكر وأقامت للأكاذيب سوقا رائجة وقلبت الحقائق وصنعت الدواهي.(٤٩)

قال تعالي: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(٥٠)

فالسحرة على إدراك تام أن الطاغية في ورطة كبيرة وهو في حاجة ماسة إليهم ليدفع الخطر عن ملكه وسلطانه وهيبته، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا، أي: هذا الذي جمعتنا من أجله(٥١)، فقال فرعون نعم لكم أجر عندي وتكونون مع ذلك من المقربين عندي في المرتبة والجاه فتكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج ولما كان قولهم أئن لنا لأجراً في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وإنكم إذا لمن المقربين معطوفاً عليه دخلت إذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء. (٥٢)

ومما سبق يعزز ملامح الشخصية الانتهازية النفعية ويبرهن على ذلك طريقة التعامل من قبل السحرة مع العرض الفرعوني حيث لم يسأل أي منهم عن طبيعة العمل وماهيته وإنما كان التركيز على البدل المادي ولم يقولوا: نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى، والمستبد يشم ملامح الشخصية النفعية عن بعد، ويدرك آليات ترويضها بما يتوافق وطموحاته،ففرعون كان على إدراك تام أن

ما يحتاجه السحرة هو المال فوعدهم بالمال وزيادة من خلال وعده لهم بتقريبهم منه فقال كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٥٣)

والمشهد هنا يوضح معيار إسناد المناصب في النظام الشيطاني الفرعوني، فالدين يدافعون عن فرعون ويحمون نظامه وكفره،ومجونه وفسقه،وظلمه واضطهاده، واستضعافه البسطاء ؛هم المقربون وأهل المناصب ولو كانوا جهلة سحرة دجاجلة وضعاء(٥٤)، وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة. وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائما في كل مكان وفي كل زمان، وها هم أولاء يستوثقون من الجزاء على تعبهم ولعبهم وبراعتهم في الخداع. وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر. يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه. وهو بزعمه الملك والإله! (٥٥)، فلا يتهافت على فتات عهد الطاغية؛ إلا الذين لا يجدون ما يأكلون في عهود الحرية، ولا يعتز بالسير في ركاب الطاغية؛ إلا الذين تدوسهم مواكب الأحرار.ولا تعجب من مغمورين سلط الطاغية عليهم الأنوار أن يحرقوا له البخور، ويمشوا بين يديه بالمزمار؛ فلولاه لظلوا في الظلام مغمورين ليس لهم نهار، إذا الأحرار كان لهم نهار. (٥٦)

والعبرة في الآيات: أنه لا يزال يوجد في البشر فراعنة يغوون الناس ويستخفونهم ويستعبدونهم فيطيعونهم ويذلون لهم ذل العبد لسيده، والحمار لراكبه، والحيوان لمالكه، ولم يستفيدوا شيئا من هداية القرآن ورشده، وتجهيله لقوم فرعون في اتباع أمره، مع وصفه بقوله: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾، وبيان أنه كان سببا لإتباعهم لعنة في الدنيا ولعنة يوم القيامة، وأنه سيقودهم في الآخرة إلى النار، كما قادهم في الدنيا إلى الغي والفساد.(٥٧)

٣- التنفيس. حيث يعمد الكيان المستبد من خلال تصرفات محدودة و مدروسة تفريغ الانفعالات المكبوتة في صدور الناس بما يضمن عدم الانفجار، وقد أشار القرآن إلى ذلك حيث قال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾(٥٨)، والمراد بيوم الزينة: يوم كانوا يتزينون فيه، ويجتمعون فيه، لأنه يوم عيد لهم.(٥٩)، قال ابن عاشور: فيقتضي أن محشر الناس في يوم الزينة كان مكانا

معروفا. ولعله كان بساحة قصر فرعون، لأنهم يجتمعون بزينتهم ولهوهم بمرأى منه ومن أهله على عادة الملوك في المواسم[٦٠]، والجماهير دائما تتجمع لمثل هذه الأمور، دون أن تفطن إلى أن حكامها الطغاة يلهون بها ويعبثون، ويشغلونها بهذه المباريات والاحتفالات والتجمعات، ليلهوها عما تعاني من ظلم وكبت وبؤس.[٦١]

والجدير ذكره أن هذه المساحة التي يتركها المستبد تتغير صورها بتغير الزمان والمكان وقد شهد العصر الحديث العديد من الصور كالسماح بالاجتماعات المحدودة أو المسيرات الموجهة أو تحت السيطرة.

ثانياً: الوسائل الإعلامية:

في عالمنا المعاصر تطوّرت وسائل الاتّصال، ونقل الأفكار والمعلومات،بشكل لم يسبق له مثيل، فهي تنتقل بسرعة الضوّء والصوّت، وتغزو العالم في ثوان معدودة.وأصبحت وسائل الإعلام والمعلومات، كالتلفزيون وشبكات الانترنيت والكومبيوتر والصّحافة والرّاديو والكتاب والمجلة...هي القوّة المهيمنة على التّفكير والفعّالة في تكوين الفكر السّياسي والدّعاية للشّخصيات والأفكار،لذا تلجأ الكيانات المستبدة لاستغلالها بكل الطرق لتعزز أركانها وتقوي دعائمها، وهذه الوسيلة أشار إليها القرآن الكريم ولبيانها أفرد التالي:

١_الترويج لتهمة المؤامرة. وهذه التهمة القديمة الحديثة تلجأ لها الكيانات المستبدة لتخلص من خصومها ومعارضيها من خلال اتهامهم بالتآمر والإفساد وقلب نظام الحكم وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٦٢]

أي: إن هذا الصنيع الذي صنعتموه أنتم وموسى وهارون[٦٣] بالتواطؤ والاتفاق ليس إلا مكرا مكرتموه في المدينة بما أظهرتم من المعارضة والرغبة في الغلب عليه مع إسرار أتباعه بعد ادعاء ظهور حجته زاد في سورة طه: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[٦٤]، فأجمعتم كيدكم لنا في هذه المدينة؛ لأجل أن تخرجوا منها أهلها المصريين بسحركم –وهو ما كان اتهم به موسى وحده– ويكون لكم فيها مع بني إسرائيل ما هو لنا الآن من الملك والكبرياء، كما حكاه تعالى عن فرعون وملئه في سورة يونس، فسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب جزاء على

هذا المكر والخداع، وبين ذلك بقوله: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾، أي: أقسم لأقطعن كذا وكذا في عقابكم والتنكيل بكم، وهو قطع الأيدي والأرجل من خلاف، كأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس ثم لأصلبن كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة لتكونوا عبرة لمن تحدثه نفسه بالكيد لنا، أو بالخروج عن سلطاننا والترفع عن الخضوع لعظمتنا.(٦٥)

قال قطب: ومن ثم قالوا لفرعون ردا على اتهامه لهم بأن هذا مكر مكروه في المدينة ليخرجوا منها أهلها–وهو مرادف للاتهام في الجاهليات الحديثة لكل من يعلن ربوبية الله للعالمين بمعناها الجاد بأنه يعمل على قلب نظام الحكم! (٦٦)، وقال الطنطاوي: إن ما صنعتموه من الإيمان برب موسى وهارون ليس عن اقتناع منكم بذلك، بل هو حيلة احتلتموها أنتم وموسى قبل أن يلقى كل منكم بسحره، لكي تخرجوا من مصر أهلها الشرعيين، وتخلص لكم ولبنى إسرائيل، وغرضه من هذا القول إفهام قبط مصر أن إيمان السحرة كان عن تواطؤ مع موسى، وأنهم يهدفون من وراء ذلك إلى إخراجهم من أوطانهم، فعليهم. – أي القبط– أن يستمسكوا بدينهم وأن يعلنوا عداوتهم لموسى وللسحرة ولبنى إسرائيل، ولا شك أن هذا لون من الكذب الخبيث أراد من ورائه فرعون صد الناس عن الإيمان بموسىعليه السلام، ثم أتبع هذا الاتهام الباطل بالوعيد الشديد فقال: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أى: فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم.(٦٧)

٢– اتهام المعارضة بالحرص على النفوذ والسلطة.

حيث تلجأ الكيانات المستبدة للترويج الإعلامي وذلك من خلال المنابر الإعلامية الموالية والانتهازية النفعية إلى اتهام كل من يحاول تسجيل الاعتراض على هذه الكيانات بالحرص على النفوذ والوصول إلى سدة الحكم والمصلحة الشخصية لا المصلحة العامة للناس؛ وذلك لعدم التفاف الناس حولهم، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾(٦٨)، أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو(٦٩)، وهذا اتهام واضح بالحرص على النفوذ والسلطة والسيطرة، هذا استفهام توريط وتقرير، تجاه ما أورده موسى من استفهام الإنكار والتعجيب، فحواه أتقر وتعترف بأنك جئتنا

لتصرفنا وتحولنا عما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا من الدين القومي الوطني لنتبع دينك وتكون لك ولأخيك كبرياء الرياسة الدينية، وما يتبعها من كبرياء الملك والعظمة الدنيوية التابعة لها في أرض مصر كلها؟ يعنون أنه لا غرض لك من دعوتك إلا هذا وإن لم تعترف به اعترافا. جعلوا الخطاب الخاص بالدعوة والغرض منها لموسى لأنه هو الداعي لهم بالذات وأشركوا معه أخاه في ثمرة الدعوة وفائدتها لأنها تكون مشتركة بينهما بالضرورة ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾، أي وما نحن بمتبعين لكما اتباع إيمان وإذعان فيما يخرجنا من دين آبائنا الذي تقلده عامتنا، ويسلبنا ملكنا الذي تتمتع بكبريائه خاصتنا –وهم الملك وأركان دولته وبطانته وحواشيه– وهذان الأمران هما اللذان كانا يمنعان جميع الأقوام من اتباع الأنبياء والمصلحين في كل زمان.(٧٠)

والذي يتدبر هذه الآية الكريمة، يرى أن التهمة التي وجهها فرعون وملؤه إلى موسى وهارون–عليهما السلام–، هي تهمة قديمة جديدة فقوم نوح–مثلا– يمتنعون عن قبول دعوته، لأنه في نظرهم جاء بما جاء به بقصد التفضل عليهم، وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِه فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ، أَفَلا تَتَّقُونَ. فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِه، ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾. أي: يريد أن تكون له السيادة والفضل عليكم، فيكون زعيما وأنتم له تابعون.

ولقد أفاض في شرح هذا المعنى صاحب الظلال ﷺعند تفسيره لهذه الآية الكريمة فقال ما ملخصه: وإذن فهو الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة، التي يقوم عليها نظامهم السياسي والاقتصادي، وهو الخوف على السلطان في الأرض، هذا السلطان الذي يستمدونه من خرافات عقائدهم الموروثة، إنها العلة القديمة الجديدة التي تدفع بالطغاة إلى مقاومة دعوات الإصلاح ورمى الدعاة بأشنع التهم والفجور في مقاومة الدعوات والدعاة.. إنها هي «الكبرياء في الأرض» وما تقوم عليه من معتقدات باطلة، يحرص المتجبرون على بقائها متحجرة في قلوب الجماهير، بكل ما فيها من زيف وفساد، وأوهام وخرافات، لأن تفتح القلوب على العقيدة الصحيحة، خطر على القيم الجاهلية الموروثة، وما كان رجال من أذكياء قريش– مثلا– ليخطئوا إدراك ما في رسالة محمد ﷺ من صدق وسمو، وما في

عقيدة الشرك من تهافت وفساد، ولكنهم كانوا يخشون على مكانتهم الموروثة، القائمة على ما في تلك العقيدة من خرافات وتقاليد_يقول الإمام الطبري في قوله: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. أي إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك [٧١]، كما خشي الملأ من قوم فرعون على سلطانهم في الأرض، فقالوا متبجحين وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ.[٧٢]

٣- التحجيم الإعلامي للمعارضين.

حيث يعمد الكيان المستبد إلى التقليل والتهوين من حجم المعارضة ويحاول جاهدا أن يصور للناس أنه الأكثر شعبية وأنه هو محل ثقة الجماهير وان من يعارضه عبارة عن شرذمة من القوم،وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[٧٣]وبعد أن اكتمل عددهم، أخذ –فرعون– في التهوين من شأن موسى ومن معه فقال: إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ.

والشرذمة: الطائفة القليلة من الناس– وخصها بعضهم بالأخساء والسفلة منهم. ومنه قولهم: هذا ثوب شرذام، وثياب شراذم، أى: رديئة متقطعة.أى: إن هؤلاء الذين خرجوا بدون إذني وإذنكم، لطائفة قليلة من الناس الذين هم بمنزلة العبيد والخدم لي ولكم. [٧٤]، فهو يريد أن يُهوِّن من شأنهم ويُغري قومه بهم، ويُشجِّعهم على مواجهتهم. [٧٥]

قال قطب: وعلم فرعون بخروج بني إسرائيل خلسة، فأمر بما يسمى «التعبئة العامة» وأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له الجنود، ليدرك موسى وقومه ويفسد عليهم تدبيرهم وهو لا يعلم أنه تدبير صاحب التدبير! وانطلق عملاء فرعون يجمعون الجند.. ولكن هذا الجمع قد يشي بانزعاج فرعون، وبقوة موسى ومن معه وعظم خطرهم، حتى ليحتاج الملك الإله– بزعمه! – إلى التعبئة العامة. ولا بد إذن من التهوين من شأن المؤمنين: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ! ففيم إذن ذلك الاهتمام بأمرهم، والاحتشاد لهم، وهم شرذمة قليلون! [٧٦]

٤- الترويج لحرص المستبد على مصلحة الناس.

وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن إتباع خير

الخلق هذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم[٧٧]:﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[٧٨]، وقد أشار الله عز وجل لذلك من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[٧٩] أي: اتركوني لأقتل موسى. وليدع ربه لكي يخلصه منى. إن كان في إمكانه ذلك. فإنى أخاف إن لم أقتله أن يبدل دينكم الذي أنتم عليه بدين آخر أو بأن يظهر في الأرض التي تعيشون عليها الفساد، عن طريق بث الفتن بينكم وإيقاد نار العداوة في صفوفكم. والعمل على اضطراب أمر دنياكم ومعاشكم.

وهكذا الطغاة الماكرون في كل زمان ومكان: يضربون الحق بكل سلاح من أسلحتهم الباطلة. ثم يزعمون بعد ذلك أمام العامة والبسطاء والمغلوبين على أمرهم.. أنهم ما فعلوا ذلك إلا من أجل الحرص على مصالحهم الدينية والدنيوية[٨٠] فالمقصود من هذا الكلام بيان السبب الموجب لقتله وهو أن وجوده يوجب إما فساد الدين أو فساد الدنيا، أما فساد الدين فلأن القوم اعتقدوا أن الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه، فلما كان موسى ساعيا في إفساده كان في اعتقادهم أنه ساع في إفساد الدين الحق وأما فساد الدنيا فهو أنه لا بد وأن يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات وإثارة الفتن، ولما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال: إني أخاف أن يبدل دينكم ثم أتبعه بذكر فساد الدنيا فقال: أو أن يظهر في الأرض الفساد.[٨١]

قال الزحيلي: إني أخشى أن يغير منهاج دينكم الذي أنتم عليه من عبادتي وعبادة الأصنام، ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده، أو أن يوقع بين الناس الخلاف والفتنة، فتكثر الخصومات والمنازعات، وتثار القلاقل والاضطرابات. والمراد: إظهار الخوف من تبديل الدين أو إفساد أمر الدنيا.[٨٢]

وكل هذا أوقع الخوف والرعب في قلوب بني إسرائيل قوم موسى، فما آمن له إلا ذرية من قومه وهم الأحداث من المراهقين والشبان، وقيل: قوم فرعون، ولكن من آمن به منهم كان يكتم إيمانه، ولا يقال آمن له إلا من اتبعه مؤمنا.[٨٣]

وهذه كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة

الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟، إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان. والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين.(٨٤)

جاء في تفسير المنار: وكذلك يفعل كل ملك، وكل رئيس مستبد في شعب يخاف أن ينتقض عليه باجتماع كلمته على زعيم آخر بدعوة دينية أو سياسية، وما من شعب عرف نفسه وحقوقه وتعارف بعض أفراده، وتعاونوا على صون هذه الحقوق إلا وتعذر استبداد الأفراد فيهم، وإن كانوا ملوكا جبارين.(٨٥)

ثالثاً: الوسائل القهرية.

ولا يتردد المستبد في اللجوء إلى استخدام العنف إذا ما فشلت الوسائل السابقة،من تقيد للحرية،والإقامة الجبرية،والنفي،والتنكيل وصولا لجريمة القتل،ولبيان هذه الوسائل أعرض لها على النحو التالي:

١- وسائل تقيد الحرية والمتمثلة بالسجن حيث يلجأ المستبد إلى زج من يعارضه في السجن بقصد ترهيبه وتخويفه وإبعاده عن دائرة التأثير في الناس وقد أشار القرآن الكريم لهذه الوسيلة وقد ظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾(٨٦)، أي لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل ولو قيل لأسجننك لم يؤد هذا المعنى وإن كان أخصر.(٨٧)، فلما لم يجد فرعون لحجاجه نجاحا ورأى شدة شكيمة موسى في الحق عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها. وهذا شأن من قهرته الحجة، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد.هم في القديم والجديد! غير أن التهديد لم يفقد موسى رباطة جأشه (٨٨)

قال الشوكاني: ثم إن اللعين لما انقطع عن الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب، ف قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين أي: لأجعلنك من أهل السجن، وكان سجن فرعون أشد من القتل لأنه إذا سجن أحدا لم يخرجه حتى يموت.(٨٩)

هذه هي الحجة وهذا هو الدليل: التهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين. فليس السجن عليه ببعيد. وما هو بالإجراء الجديد! وهذا هو دليل العجز، وعلامة

الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع. وتلك سمة الطغاة وطريق[٩٠]، ومثله قوله: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾[٩١]، والسجن كما نعلم هو حَبْس المسجون لتقييد حركته في الوجود؛ وهو إجراء يتخذه القاضي أو الحاكم كعقوبة يُراد بها إذلال المسجون، أو وقاية المجتمع من شرِّه، ونعلم أن الإنسان لا يجترئ على الأحكام إلا حين يظن أو يعلم أن له قدرة؛ وله غلبة؛ فيعلن له القاضي أو الحاكم نهاية تلك الغلبة والقدرة، ويأمر بدخوله إلى السجن ويحرس تقييد حريته سَجَّان؛ وقد يتعرض للضرب أو الإهانة.[٩٢]

وهكذا جو القصور، وجو الحكم المطلق، وجو الأوساط الأرستقراطية، وجو الجاهلية! فبعد أن رأوا الآيات الناطقة ببراءة يوسف. وبعد أن بلغ التبجح بامرأة العزيز أن تقيم للنسوة حفل استقبال تعرض عليهن فتاها الذي شغفها حباً، ثم تعلن لهم أنها به مفتونة حقاً، ويفتتن هن به ويغرينه بما يلجأ إلى ربه ليغيثه منه وينقذه، والمرأة تعلن في مجتمع النساء –دون حياء– أنه إما أن يفعل ما يؤمر به، وإما أن يلقى السجن والصغار، فيختار السجن على ما يؤمر به!.[٩٣]

٢– التعذيب البدني والنفسي.

يعمد المستبدون على مر الزمان إلى الأسلوب القمعي البطشي في التعامل مع المعارضين واستخدام العنف المفرط الذي يخرج عن كل القيم الإنسانية،وذلك بهدف إسكاتهم، وإبعادهم عن الجماهير، وقد أشار القرآن إلى هذا الأسلوب في مواطن عديدة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[٩٤]، فجاء هذا تنفيراً لهم عن الإيمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء.[٩٥]

قال الطنطاوي: وغرضه من هذا القول صرف الناس عن التأسي بهم، وعن الإيمان بالحق الذي آمن به السحرة والظهور أمام قومه بمظهر الثبات والتماسك بعد أن استبد به وبهم الخوف والهلع، من هول ما رأوه. ثم أضاف إلى قوله هذا تهديدا أشد فقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾، أى: فو الله لأقطعن أيديكم اليمنى–مثلا– مع أرجلكم اليسرى، ولأصلبنكم على جذوع النخل، لتكونوا عبرة لغيركم ممن تسول له نفسه أن يفعل

فعلكم.[٩٦]

والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال من لابتداء الغاية لان المقطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو ومحل الجار والمجرور والنصب على الحال يعني لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فلهذا قال ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النخل﴾ وخص النخل لطول جذوعها.[٩٧]

قال الطنطاوي: فالمراد من قوله «من خلاف» أي: من الجهة المخالفة أو من الجانب بأن يقطع اليد اليمنى ومعها الرجل اليسرى، لأن ذلك أشد على الإنسان من قطعهما من جهة واحدة إذ قطعهما من جهة واحدة يبقى عنده شيء كامل صحيح، بخلاف قطعهما من جهتين مختلفتين فإنه إفساد للجانبين،واختار أن يصلبهم في جذوع النخل، لأن هذه الجذوع أخشن من غيرها والتصليب عليها أشق من التصليب على غيرها، وأظهر للرائى لعلوها عن سواها. فهو لطغيانه وفجوره اختار أقسى ألوان العذاب ليصبها على هؤلاء المؤمنين.[٩٨]

فكل ما سبق يدلل على التهديد الغليظ بالعذاب الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة ويسلطونه على الجسوم والأبدان حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح ثم الاستعلاء بالقوة الغاشمة. قوة الوحوش في الغابة. القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال، ولا تفرق بين إنسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالناب[٩٩]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[١٠٠]، أي: أخذتموه بعنف وقهر وتسلط بدون حق وبدون أن تعرف الرحمة إلى قلوبكم سبيلا[١٠١]، قال الثعلبي: أي سطوتم وأخذتم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ قتّالين من غير حقّ، قال مجاهد: قتلا بالسيف وضربا بالسوط، والجبّار: الذي يقتل ويضرب على الغضب.[١٠٢]

وهذه الأوصاف المذمومة القبيحة قد صارت في كثير من هذه الأمة، فالطغاة يبطشون بالناس بالسوط والعصا –وغير ذلك من آلة القمع والتعذيب المعاصرة– في غير حق[١٠٣]، فهم عتاة غلاظ، يتجبرون حين يبطشون ولا يتحرجون من القسوة في البطش. شأن المتجبرين المعتزين بالقوة المادية التي يملكون.[١٠٤]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوتَادِ﴾[١٠٥]، فسمي بذي الأوتاد: لأنه كان يوتد من يريد تعذيبه بأربعة أوتاد: في يديه ورجليه[١٠٦]، قال النسفي: قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد في يديه ورجليه [١٠٧]، وقال الواحدي: كانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وذلك أنه كان إذا غضب على أحد وتد يده ورجليه ورأسه على الأرض[١٠٨]، أو هو كناية عن ثبوت ملكه، وقوة سلطانه. أو كناية عن المباني العظيمة الثابتة. أو صاحب الجنود. وتسمى الجنود أوتاداً: لأنها دعائم الملك والقوة والسطوة والسلطان.[١٠٩]

٣- القتل:

ومن الأساليب التي يلجأ إليها المستبد للتخلص من المعارضين له القتل بطرقه المختلفة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأسلوب في العديد من الآيات،حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[١١٠]، أي دعوا موسى لا تقتلوه أنتم، بل إنني أنا الذي سأتولى قتله. [١١١]

قال الطنطاوي: أي: وقال فرعون لحاشيته ومستشاريه وخاصته: اتركوني لأقتل موسى عليه السلام وأتخلص منه ومن أقواله التي فيها ما فيها من الضرر بي وبكم. ويبدو من أسلوب الآية الكريمة أن اتجاه فرعون لقتل موسى كان يجد معارضة مستشاريه، لأنهم يرون أن قتله لا ينهى المتاعب، بل قد يزيدها اشتعالا لأن عامة الناس سيفهمون أن قتل موسى كان بسبب أنه على الحق. [١١٢]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾[١١٣]، أي قال أولئك الطغاة: عودوا إلى قتل[١١٤] الذكور وترك النساء، لئلا يكثر جمعهم، ولكي يضعف شأنهم. وهذه هي المرة الثانية بالأمر بذلك بعد بعثة موسى، وكانت المرة الأولى قبل ولادة موسى، لأجل تفادي وجوده، ولإذلال الشعب الإسرائيلي، ولتقليل عددهم، لئلا ينصروا عليهم. ولكن الله تعالى أحبط كيدهم وأفشل خطتهم. [١١٥]

قال الخازن: هذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم

القتل وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ أي استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته. (١١٦)

وقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾(١١٧)، أي: وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم(١١٨)، قال الزحيلي: حماه الله وحفظه من شدائد مكرهم الذي مكروا به من القتل.(١١٩)

٤- النفي:

ومن الوسائل التي يلجأ إليها المستبد نفي أركان المعارضة،أو بفرض الإقامة الجبرية ومنعهم من الخروج ؛ وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوسيلة في مواطن كثيرة والآيات نطقت بها في معرض العرض لمعظم الطغاة، حيث قال تعالى: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾(١٢٠)، ومعنى الكلام: لنخرجَنكم من أرضنا، أو تعودون في ملتنا(١٢١)، قال الرازي: والمعنى: ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم إلى ملتنا. والسبب فيه أن أهل الحق في كل زمان يكونون قليلين وأهل الباطل يكونون كثيرين والظلمة والفسقة يكونون متعاونين متعاضدين، فلهذه الأسباب قدروا على هذه السفاهة. (١٢٢)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِه لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾(١٢٣)، أي: قال أشراف قومه وأكابرهم الذين استكبروا عن الإيمان له، وعتوا عما أمرهم به ونهاهم عنه اتباعا لأهوائهم وقد استضعفوه: نقسم لنخرجنك يا شعيب أنت والذين آمنوا معك من قريتنا الجامعة أو من بلادنا كلها، فلفظ القرية والبلد يطلق أحيانا على القطر أو المملكة، أو لتعودن وترجعن إلى ملتنا، وما ندين به من تقاليدنا الموروثة عن آبائنا فتكون ملة لكم، ومحيطة بكم معنا(١٢٤)، قال الماتريدي:

لنخرجنك: الإخراج نفسه، أي: نخرجنك ومن معك من المؤمنين من قريتنا إن لم تتبع ديننا[١٢٥]، قال الزحيلي: وهذا تهديد منهم بأحد أمرين: إما النفي والطرد من القرية، وإما الإكراه والقهر على الرجوع في ملتهم. وهذا الخطاب مع الرسول شعيب، والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة.[١٢٦]

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[١٢٧]، فأما الإثبات فالمراد به الشد بالوثاق والإرهاق بالقيد، والحبس المانع من لقاء الناس ودعوتهم إلى الإسلام، وأما القتل فالمكر فيه طريقته وصفته الممكنة التي لا يكون ضررها فيهم عظيما، وهو ما بينته الرواية الآتية عنهم، وأما الإخراج فهو النفي من الوطن[١٢٨]، قال السعدي: حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي صلى الله عليه وسلم، إما أن يثبتوه عندهم بالحبس ويوثقوه.وإما أن يقتلوه فيستريحوا –بزعمهم– من شره.وإما أن يخرجوه ويجلوه من ديارهم.[١٢٩]

الخاتمة: في أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج.

١– الاستبداد يعني التفرد بالسلطة والقوة والاستئثار بها، وتسخير الناس بشتى الطرق وإيصالهم لدرجة العبودية السياسية.فالمستبدون يفرضون أرائهم وأهوائهم على رعيتهم ويجعلونها عليهم قوانين إلزامية.

٢– أشكال الحكومة المستبدّة كثيرة فتشمل حكومة الحاكم الفرد المطلق الذي تولّى الحكم بالغلبة أو الوراثة، تشمل أيضاً الحاكم الفرد المقيَّد المنتخب متى كان غير مسؤول، وتشمل حكومة الجمع ولو منتخباً؛ ويشمل أيضاً الحكومة الدّستورية المُفرَّقة فيها بالكُلِّيَّة قوَّة التشريع عن قوَّة التَّنفيذ وعن قوَّة المراقبة.

٣– وسائل الاستبداد متعددة منها الوسائل الاغوائية: وهي مجموع الامتيازات والإغراءات التي يحاول الكيان المستبد أن يقدمها للبعض من أجل تمكينه من الاستبداد وعدم معارضته والإعلامية، حيث تلجأ الكيانات المستبدة لاستغلالها بكل الطرق لتعزز أركانها وتقوي دعائمها،والوسائل القهرية، ويقصد بها استخدام العنف إذا ما فشلت الوسائل السابقة،من تقيد للحرية،والإقامة الجبرية،والنفي،والتنكيل وصولا لجريمة القتل.

ثانياً: التوصيات.

١- الفصل بين السلطات في الدولة لما له من الدور الكبير في الحد من تغول إحدى سلطات الدولة -وعلى وجه الخصوص السلطة التنفيذية-، ومن ثم في إحداث التوازن بينها، وتوفير مناخ الحرية، ومنع الاستبداد؛ إذ السلطة المطلقة مفسدة مطلقة.

٢- توصي الباحثة العلماء وأهل الحل والعقد والأحزاب السياسية المختلفة على ضرورة المناصحة لرئيس الدولة بعيد عن التحريض المفضي للخلاف والشقاق، وعدم اللجوء إلى الجريمة السياسية.

هوامش البحث:

(١) مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط (٢٦/١).
(٢) لسان العرب (٨٢/٣).
(٣) طبائع الاستبداد (١٧)
(٤) المرجع السابق.
(٥) الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة (١٦٦).
(٦) طبائع الاستبداد (١٧)
(٧) المرجع السابق.
(٨) الكواكبي: طبائع الاستبداد (٩٣)
(٩) الرازي: مفاتيح الغيب (٣٩/٣١).
(١٠) الرازي: مفاتيح الغيب (٣٩/٣١).
(١١) التفسير الوسيط (٩٨/٩)
(١٢) قطب: في ظلال القرآن (٣٨١٤/٦).
(١٣) سورة الذاريات، الآية (٥٣).
(١٤) ابن حيان: البحر المحيط(٥٦١/٩).
(١٥) التفسير الوسيط(٢٨/١٤).
(١٦) الخلوتي: روح البيان(١٧٤/٩).
(١٧) سورة الذاريات، الآية (٥٣).
(١٨) الرازي: مفاتيح الغيب (١٥٤/٣١).
(١٩) قطب: في ظلال القرآن (٣٩٠٤/٦).
(٢٠) سورة الشورى، الآية (٤٢).
(٢١) ابن عطية: المحرر الوجيز (٤٠/٥).
(٢٢) قطب: في ظلال القرآن (٣١٦٧/٥).
(٢٣) سورة النازعات، الآية (٤٢).

(٢٤) القاسمي: محاسن التأويل (٤٠٢/٩).
(٢٥) روح البيان (٣٢٨/١٠).
(٢٦) سورة النازعات، الآية (٤٢).
(٢٧) ابن كثير: تفسير القرآن(٢١٤/٦).
(٢٨) الطنطاوي: التفسير الوسيط (٤٠٩/١٠).
(٢٩) سورة طه، الآية (٤٥).
(٣٠) الزمخشري: الكشاف (٦٦/٣).
(٣١) سورة القصص، الآية (٤).
(٣٢) السمعاني: تفسير القرآن (١٢٠/٤)، الزحيلي: التفسير المنير(٥٦/٢٠).
(٣٣) الرازي: مفاتيح الغيب (٥٧٨/٢٤).
(٣٤) سورة يونس، الآية (٨٣).
(٣٥) النسفي: مدارك التنزيل (٣٦/٢).
(٣٦) جامع البيان(١٦٨/١٥).
(٣٧) سورة القصص، الآية (٤).
(٣٨) الطبري: جامع البيان (٥١٧/١٩).
(٣٩) الطنطاوي: التفسير الوسيط (٣٧٦/١٠).
(٤٠) الطنطاوي: التفسير الوسيط (٣٧٦/١٠).
(٤١) الإسلام والاستبداد السياسي (٣٨).
(٤٢) سورة الأعراف، الآيتان (١١٤، ١١٣).
(٤٣) الطنطاوي: التفسير الوسيط (٣٤٨/٥).
(٤٤) الآيتان (٤١، ٤٢).
(٤٥) تفسير المنار (٥٦/٩).
(٤٦) الخواطر (٩٣٢٠/٩).
(٤٧) قطب: في ظلال القرآن (١٣٤٩/٣).
(٤٨)الشعراوي: الخواطر (٤٢٩٠/٧).
(٤٩) الإسلام والاستبداد السياسي (٣٢).
(٥٠) الآيتان (٤١، ٤٢).
(٥١) ابن كثير: تفسير القرآن (١٤١/٦).
(٥٢) النسفي: مدارك التنزيل (٥٦٢/٢).
(٥٣) الآيتان (٤١، ٤٢).
(٥٤) المودودي: فرعون في القرآن (٢٥).
(٥٥) قطب: في ظلال القرآن (٢٥٩٥/٥)
(٥٦) السباعي: هكذا علمتني الحياة (٣٠٨).
(٥٧) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (١٢٦/١٢).
(٥٨) الآيتان (٤١، ٤٢).

(٥٩) الطنطاوي: التفسير الوسيط (١١٩/٩).
(٦٠) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٤٦/١٦).
(٦١) قطب: في ظلال القرآن (٢٥٩٤/٥)
(٦٢) سورة الأعراف، الآيات (١٢١، ١٢٢، ١٢٣).
(٦٣) الجوزي: زاد المسير (١٤٥/٢).
(٦٤) الآية (٧١).
(٦٥) محمد: رشيد رضا (٦٣/٩).
(٦٦) في ظلال القرآن (١٣٣١/٣).
(٦٧) التفسير الوسيط (٣٥١/٥).
(٦٨) سورة يونس، الآيتان (٧٨، ٧٧).
(٦٩) النسفي مدارك التنزيل (٣٥/٢)
(٧٠) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (٣٨٢/١١).
(٧١) جامع البيان (١٥٢/٢١).
(٧٢) الطنطاوي: التفسير الوسيط (١١٥/٧)، قطب: في ظلال القرآن (١٨١٤/٣).
(٧٣) سورة الشعراء، الآيات (٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣).
(٧٤) الطنطاوي: التفسير الوسيط (٢٤٩/١٠).
(٧٥) الشعراوي: الخواطر (١٠٥٧٦/١٧).
(٧٦) قطب: في ظلال القرآن (٢٥٩٨/٥).
(٧٧) السعدي: تيسير الكريم الرحمن (٧٣٦).
(٧٨) الطنطاوي: التفسير الوسيط (٢٨٠/١٢).
(٧٩) سورة غافر، الآية (٢٦).
(٨٠) الطنطاوي: التفسير الوسيط (٢٨٠/١٢).
(٨١) الرازي: مفاتيح الغيب (٥٠٧/٢٧).
(٨٢) الزحيلي: التفسير المنير (١٠٦/٢٤).
(٨٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (٣٨٤/١١).
(٨٤) قطب: في ظلال القرآن (٣٠٧٨/٥).
(٨٥) محمد رشيد رضا (٦٣/٩).
(٨٦) سورة الشعراء، الآية (٢٩).
(٨٧) النسفي: مدارك التنزيل (٥٦٠/٢).
(٨٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير (١٢١/١٩).
(٨٩) فتح القدير (١١٤/٤).
(٩٠) قطب: في ظلال القرآن (٢٥٩٣/٥).
(٩١) سورة يوسف، الآية (٣٣٥).
(٩٢) الشعراوي: الخواطر (٩٦٤٧/١١).
(٩٣) قطب: في ظلال القرآن (١٩٨٧/٤).

(٩٤) سورة طه، الآية (٧١).
(٩٥) الرازي: مفاتيح الغيب (٧٧/٢٢).
(٩٦) الطنطاوي: التفسير الوسيط (١٢٧/٩).
(٩٧) النسفي: مدارك التنزيل (٣٧٤/٢).
(٩٨) الطنطاوي: التفسير الوسيط (١٢٧/٩).
(٩٩) الشعراوي: الخواطر (٩٣٢٥/١٩).
(١٠٠) سورة الشعراء، الآية (١٣٠).
(١٠١) الثعلبي: الكشف والبيان(١٧٥/٧)، الطنطاوي: التفسير الوسيط(١٢٧/٩).
(١٠٢) الكشف والبيان(١٧٥/٧).
(١٠٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٢٤/١٣).
(١٠٤) قطب: في ظلال القرآن (٢٦١٠/٥).
(١٠٥) سورة ص، الآية (١٢).
(١٠٦) الخطيب: أوضح التفاسير (٥٥٣).
(١٠٧) مدارك التنزيل (١٤٦/٣).
(١٠٨) التفسير الوسيط (٥٤٢/٣).
(١٠٩) مدارك التنزيل (١٤٦/٣)، الواحدي: التفسير الوسيط(٥٤٢/٣). الخطيب: أوضح التفاسير(٥٥٣).
(١١٠) سورة غافر، الآية (١٠٦).
(١١١) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن (١٢٢٣/١٢). وقال: والسؤال هنا: إن أحدا لم يعرض لفرعون، ولم يحل بينه وبين ما يريد فى موسى.. فما السر فى أن يقول هذا القول: «ذرونى» أي اتركوني؟، وهل أراد فرعون شيئا يفعله بموسى ثم عرض له أحد دونه؟ وهل يجرؤ أحد أن يعترض طريق فرعون إلى ما يريد؟.ما السرّ إذن فى قوله هذا: «ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى»؟.

الجواب- والله أعلم- أن هذا القول من فرعون يكشف عن خوف كان مستوليا عليه من موسى، ومن أن خطرا داهما يتهدده من جهته.. فلقد كان يعلم- بعد أن رأى ما رأى من المعجزات- أن موسى يستند إلى قوة لا قبل لأحد بها، وأنه لو أراد بموسى شرّا لما استطاع، ولأصابه هو بلاء عظيم.. إنه كان على يقين بأن موسى على حق، ولكن الغطرسة، والكبر، وحب التسلط والسلطان- كل أولئك قد جعله يؤثر ما هو فيه من ضلال على هذا الحق الذي يدعى إليه.. فقول فرعون: «ذرونى أقتل موسى» - يشير إلى أن شيئا ما بداخله، يمسك به، وأن مشاعر خفية تلقاه بالتخويف والتحذير كلما هم أن يبطش بموسى، ويخلص من هذا الخطر الذي يتهدده منه ومن سحره.. وكأن فرعون بقوله: «ذرونى أقتل موسى» إنما يتحدث إلى هذه المشاعر التي تغلّ يده، وتحول بينه وبين ما يشتهى من الانتقام من هذا العدو المخيف!.وفى قوله: «وَلْيَدْعُ رَبَّهُ» ما يشير إلى هذا الخوف الذي يملأ كيان فرعون، أكثر مما يشير إلى الاستخفاف، وعدم المبالاة.وفى قوله: «إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ» - ما يكشف عن وجه من

وجوه المخاوف التي تعيش مع فرعون من جهة موسى.. ولهذا فإنه يريد أن يتحمل هذه المخاطرة، ويقدم على قتل موسى..أيّا كان الثمن الذي يقدمه من أجل هذا.الخطيب: التفسير القرآني للقرآن (١٢٢٣/١٢)

(١١٢) التفسير الوسيط (٢٧٩/١٢).
(١١٣) سورة غافر، الآية (٢٥).
(١١٤) التفسير الوسيط (٢٧٩/١٢).
(١١٥) الزحيلي: التفسير المنير (١٠٥/٢٤).
(١١٦) لباب التأويل (٧٢/٤).
(١١٧) سورة غافر، الآية (٢٥).
(١١٨) السعدي: تيسير الكريم الرحمن (٧٣٨).
(١١٩) التفسير المنير (١٢٧/٢٤).
(١٢٠) سورة إبراهيم، الآية (١٣).
(١٢١) الطبري: جامع البيان (١٦٨٥٤٠).
(١٢٢) مفاتيح الغيب (٧٦/١٩).
(١٢٣) سورة الأعراف، الآية (٨٨).
(١٢٤) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (٣/٩).
(١٢٥) تأويلات أهل السنة (٥٠٠/٤).
(١٢٦) التفسير المنير (٧/٩).
(١٢٧) سورة الأنفال، الآية (٣٠).
(١٢٨) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (٥٤١/٩).
(١٢٩) السعدي: تيسير الكريم الرحمن (٣١٩).

فهرس المراجع

١ الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).

٢- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م عدد الأجزاء: ١٠.

٣- ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٤- الخطيب: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب(المتوفى: ١٤٠٢هـ)، أوضح التفاسير، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ- فبراير ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ١
٥- الخلوتي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي (المتوفى: ١١٩٢هـ)، كشف المخدرات والرياض المزهرات لشرح أخصر المختصرات، المحقق: قابله بأصله وثلاثة أصول أخرى: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.
٦- الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: .
٧- الزحيلي: وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ الناشر: دار الفكر - سوريَّة - دمشق، الطبعة: الرَّابعة المنقَّحة المعدَّلة بالنِّسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)، عدد الأجزاء: ١٠.
٨- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٢.
٩- السباعي: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، هكذا علمتني الحياة، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.
١٠- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.
١١- السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٢- الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي - الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: ٢٠.
١٣- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٤هـ.
١٤- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤.

١٥- الطنطاوي: محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.
١٦- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ
١٧- القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ.
١٨- قطب: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق – بيروت- القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.
١٩- ابن كثير: إسماعيل القرشي بن كثير، ت ـ ٢٣٥هـ، تفسير القرآن العظيم، اختصار وتحقيق: محمد على الصابوني ط. دار الصابوني.
٢٠- الكَوَاكِبي: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي يلقب بالسيد الفراتي (المتوفى: ١٣٢٠هـ)، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد الناشر: المطبعة العصرية – حلب الطبعة: طبعة جديدة منقحة ومضافة بقلم المؤلف، عدد الأجزاء: ١.
٢١- الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، (المتوفى: ٣٣٣هـ)، (تأويلات أهل السنة)المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١٠.
٢٢- محمد رشيد رضا: بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءا.
٢٣- مصطفى الخنآخرون: الدكتور مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق الطبعة: الرابعة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢ م عدد الأجزاء: ٨.
٢٤- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥.
٢٥- المودودي: أبو الأعلى المودودي، فرعون في القرآن الكريم، المختار الاسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢٦- النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي،

راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٣.

٢٧- الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية (٢٠١٥/٢٤٢٦٠)
الترقيم الدولي الموحد (ISSN. ٢٥٣٦ - ٩٣١٨)